

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله حقَّ حمده ، وكما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه ، وشمول رحمته ، وسُبُوغ نعمائه . والصلاة والسلام على سيّدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين .
الحمدُ لله الذي شرفَ لغةَ العربِ بنزولِ القرآنِ الكريمِ بها، وجعلَ لغةَ العربِ أشرفَ اللغاتِ، قال تعالى: [وَ ي ي ي ي ي ي ي ي ي ي ي ي] [الزمر: ٢٨] .
أما بعد:

فإنَّ العلاقةَ بينَ اللغةِ والقرآنِ الكريمِ علاقةٌ قُدمى بدأت منذُ أوائلِ نزوله، والتفكرُ في معانيه، والتدبُّرُ في آياتِ وجوده، وكان ذلك المنطلقَ الحقيقيَ لنشأة (علم النحو) وبناء صرّحه . وكانت مسألةُ تعارضِ القاعدةِ النحويةِ معِ النصِّ القرآني قد شغلت بالَ الباحثين ، وفي ظلِّ الدعواتِ الداعيةِ الى تيسيرِ النحوِ العربي، والتطوراتِ الحاصلةِ في الدراساتِ الأسلوبيةِ واللسانية، وتطورِ مناهجِ دراسةِ القرآنِ الكريمِ وظهورِ الدعواتِ التي أصبحت ضرورةً ومطلباً ملحاً بوجودِ تصحيحِ منهجِ النحوِ العربي، وإعادةِ مسارهِ إلى ما كان عليه ، وإعادةِ صلةِ النحوِ بالقرآنِ الكريمِ المتمثلةِ بإعادةِ المعانيِ الى النحوِ في ضوءِ المنهجِ الذي رسمهُ القدماء . ظهرت الحاجةُ إلى نحوٍ يستمدُّ أصوله من سندٍ قوي وثابت هو نصُّ القرآنِ الكريمِ، وهذا النحوُ يُقربُ ما تباعدَ ، ويصلُ ما انفصلَ ، لنخلصَ الى نحوٍ جديدٍ في عرضه ، قديمٍ في أصوله وجذوره لتبقى العربيةُ ما بقي القرآنُ .

والنحوُ القرآنيُّ ليس نحواً جديداً أو مبتكراً أو منفصلاً عن نحونا العربي، ذلك أن النحوَ العربيَ متوحِّدُ الأصول، ولكن حسبنا الاستدلالَ على أن هناك اتجاهاً نحويّاً نشأ في رحابِ القرآنِ الكريمِ ، وتوجّهَ وجهةً نحويةً قرآنيةً خالصةً وهو (النحوُ القرآني). غير أنه ليس مُستقلاً ، بل نشأ مُختلطاً ومتداخلاً مع اتجاهٍ آخرٍ فرضتهُ النزعةُ التعليميةُ ، والتأثرُ بالعلومِ الفلسفيةِ والمنطقيةِ على أثرِ الانحرافِ والخللِ الذي أصابَ الدرسَ النحويَ مطلعَ القرنِ الثاني للهجرةِ ، وهو ما اصطَلحنا عليه بـ(النحو غير القرآني). وهذان المنهجانِ متداخِلانِ ويصعبُ الفصلُ بينهما حتى عُدَّ

– إحدى الصعوبات التي واجهت البحث- إذ يظهرُ للنحوي مسلكان في البحث النحوي.

فكان لا بُدَّ من قراءةٍ جديدةٍ للنحو من خلال القرآن الكريم ، وقراءةِ الموروث النحوي بعينٍ أخرى تستندُ الى تحليل آراءِ النُحاةِ، والتثبتِ منها، ووردِ الشُّبُهاتِ عنهم، أو نقضِ أحكامهم بالشذوذِ والاطرادِ أو القلةِ والكثرةِ
والناظرُ في جهودِ النُحاةِ وآرائهم يلتبسُ سبقهم في اعتمادِ الأسسِ المعنويةِ والفكريةِ في فهمِ النصِ القرآني، فقد ظهرتِ العنايةُ بـ(النص) وترابطِ عناصره، وتماسكه، وعلاقةِ النصِ بالنظامِ اللغوي وبمنشئه، وبمقتضيه، وقرائنِ المقامِ والأحوال. وهذه الأسسُ المعنويةُ منلتُ صورةً من صور(نحو النص) باصطلاحه المعاصر الحديث .

والنحو القرآني من الموضوعات التي كوّنت اتجاهًا مميزاً في الدرس النحوي يُعنى بالمعاني والأساليب والنظم . ويقتضي أن يكون الباحث ملماً بأصوله وأحكامه. وما وصل إلينا من تراثٍ ضخمٍ يدل على دقة فهم النحاة في الكشف عن معاني النص الكريم وأسراره المعجزة.

وقد تلمس ملامح التفكير النحوي القرآني أستاذي المشرف الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي في ظل منهجه الداعي الى اعتماد المعنى أساساً مهماً في البحث النحوي، فاختر لي دراسة النحو القرآني. وبعد البحث والاستقراء والرغبة في دراسة القرآن الكريم، وأن يكون جهدينا وعملنا خالصاً لوجه الله تعالى عقدت العزم بعد التوكل على الله على الكشف عنه فكان موضوعاً لبحثي في أطروحة الدكتوراه وهو (النحو القرآني اتجاهاته وخصائصه) .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع بعدَ البحثِ والدراسة أن أتوسعَ في نشأة النحو القرآني وتطورهِ ليكونَ فصلاً مُستقلاً، وفصلاً في الموازنة بين النحو القرآني والنحو غير القرآني. وأن أضعَ فصلاً في أسس النحو القرآني لما وجدته من أهميةٍ لهذين الموضوعين في تأصيل الفكر النحوي القرآني، وفصلاً في اتجاهات النحو القرآني التي كشف عنها البحث. أما الخصائص فقد بحثتها ضمناً في فصول الرسالة الأربعة وخشيةً من التكرار عدلتُ عن أفرادِ فصلٍ مُستقلٍ بهذا الموضوع.

وقد توزعت هذه الدراسة على فصولٍ أربعةٍ يسبقها تمهيد، وتتلوهنّ خاتمة تضمنت أهم نتائج الدراسة. واختص التمهيد بإيضاح علاقة (نحو القرآن الكريم) بالدراسات الحديثة التي تُعرف بـ(نحو النص) وعرضه بصورة مُيسّرة .

وتناول **الفصل الأول** مفهوم النحو القرآني، ومراحل نشأته وتطوره قديماً وحديثاً، وجاء على أربعة مباحث: تناول الأول دواعي النحو القرآني ، والثاني نشأة النحو القرآني عند العلماء العرب، وخصّص الثالث للإشارة بإيجاز الى مصادر النحو القرآني، وبحث المبحث الرابع اصطلاح النحو القرآني عند المحدثين.

وانعقد **الفصل الثاني** للموازنة بين النحو القرآني والنحو غير القرآني، وتوزّع على أربعة مباحث : بحث الأول الموازنة بين النَحْوَيْن من حيث : العامل، والتعليل، والتأويل . وبحث الثاني موقف النَحْوَيْن من: النص وأحوال المخاطب ، وبحث الثالث موقف النَحْوَيْن من: المعنى والقصد وقرائن الكلام ، واختص الرابع بالموقف من الشاهد القرآني .

ويبحث **الفصل الثالث** أسس النحو القرآني ، واشتمل على أربعة مباحث : الأول في القصد، والثاني في الترابط النحوي والتماسك النصّي، والثالث في المعنى، والرابع في مراعاة المخاطب وأحواله وقرائن المقام والأحوال.

وعرضت في **الفصل الرابع** اتجاهات النحو القرآني التي كشف عنها البحث، وتوزعت على أربعة مباحث: الأول الاتجاه التفسيري، والثاني اتجاه (نحو القراءات) والثالث: الاتجاه اللغوي، والرابع الاتجاه النصّي.

أما منهجي في البحث فقد اعتمدتُ المنهجين الوصفي والتأريخي في الكشف عن ملامح الفكر النحوي عند القدماء. واعتمدتُ كذلك منهجاً انتقائياً في الاستدلال والكشف عن دقائقه. وهذا المنهج الانتقائي لا يخلو من تحليل الآراء ومناقشتها والموازنة بينها. وتتوّعت مصادرُ هذه الدراسة بين الكتب النحوية والبلاغية والاسلوبية والقرآنية، وهي تتسعُ باتساع الدراسات التي تناولت القرآن الكريم. ولم تكنْ غايَتنا استقصاءها، وإنما الاستدلالُ على نوع الدراسات التي شاع فيها هذا اللون من التفكير النحوي القرآني. ومنها مصادر النحو الأولى: الكتاب، والمقتضب والأصول في النحو، ودلائل الإعجاز، ومغني اللبيب. وكانت كتبُ معاني القرآن وإعرابه ومُشكِّله ومجازِه المصادر الأساسية للدراسة، فضلاً عن المصادر الأخرى،

وكتب التفسير التي تناولت النحو القرآني من وجهة نظر بلاغية كالكشاف للزمخشري، وكتب المتشابهات الأسلوبية مثل: درة التنزيل و غرة التأويل للخطيب الاسكافي، وأسرار التكرار للكرماني وغيرها. كما حاولت الاستفادة من المصادر الحديثة في تحليل النص القرآني.

ويكمن الهدف الأساسي لهذا البحث في إظهار النحو العربي في حلة جديدة، وثوب قشيب، وإعادة الوجه المشرق الى النحو العربي. فقد أسس النص القرآني نظاماً نحويًا خاصاً، كان تأسيس قواعد النحو فيه يُستتَبَطُ من روح النص ومعانيه وأساليبه المعجزة، ومبنيًا على أسس معنوية وفكرية تستند إلى مراعاة أطراف العملية الكلامية، وعناصر إنتاج المعنى وهي: مراعاة المخاطب، والمتكلم، وكل ما يحيط بالنص من ظروف وملابسات. ويُزهِهُ عما أثقله من قواعد وعلل منطقية غيّبت ملامح المعنى والاسلوب من الدرس النحوي، ويكون بديلاً عن الدرس النحوي السائد الآن.

وبذلك يكون النحو العربي قبلةً للطالين، وموثلاً للدراسين يُنهلون منه بلغة قوية لا تعقيد فيها، ولا جمود. فقد بدا النحو القرآني يُثري العقول والنفوس، فكانت تلك الأساليب القرآنية تحمل نفحات إيمانية ودلالات نفسية إيحائية تلامس مواطن الروح المتعطشة للإيمان.

وفي الختام أقول إني سَعَيْتُ وبذلتُ ما بوسعي من جهدٍ مُخْلِصَةٍ النية، وداعيةً أن يَخَصَّنَا اللهُ بِفَضْلِهِ وَرِضَاهِ وَتَوْفِيقِهِ، فقد يغيبُ عَنَّا ما غابَ عن سابقينا، حتى إذا بلغنا نهاية الشوط لم نصل إلى مَرَامِنَا، ورضينا من الغنيمة بالشهادة الكبيرة دون العلم الكبير.

اللهم شَنَّفْ مَسَامِعَنَا بِخَطَابِكَ، وَفَهِّمْنَا أَسْرَارَ كِتَابِكَ، وَأَلْهِمْنَا تَدْبِيرَ وَجْهِهِ وَمَعَانِيهِ، وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لِقُلُوبِنَا ضِيَاءً، وَأَبْصَارِنَا جَلَاءً، وَأَسْقَامِنَا دَوَاءً...

آمين